1430هـ/2009م

الفتح الإسلامي للحيرة عام 12هـ/633م

م.د. صالح رمضان حسن*

تاريخ التقديم: 2005/9/29 تاريخ القبول: 2005/12/18

المقدمــــة

يمثل هذا البحث القسم الثاني من موضوع قيادة خالد بن الوليد للفتح الإسلامي في العراق عام 12هـ/633م، وقد تناولنا في بحث سابق تقديم نبذة عن سيرة هذا القائد وأسباب اختياره من قبل القيادة العربية الإسلامية ممثلة بالخليفة أبي بكر الصديق (ﷺ) ثم مناقشة النقطة التي دخل منها الجيش الإسلامي إلى العراق وبيان مبررات ذلك مع إيضاح أحوال المسلمين في العراق قبيل وصول خالد بن الوليد، ثم أنتقل إلى ذكر الفتح الإسلامي لهذا البلد، وأهم المعارك التي خاضها ضد قوات الإمبراطورية الساسانية ومن تحالف معها من مشركي عدد من القبائل العربية وما تمخض عنها من انتصارات متلاحقة حققها الجيش الإسلامي مكنته من دحر القوات الفارسية وفتح العديد من المدن والمواقع من كاظمة والأبلة حتى مدينة أم غيشيا – جنوبي الحيرة أمنت للمسلمين السيطرة على أقسام مهمة من سواد العراق ولاسيما المناطق المطلة على نهر الفرات حتى مشارف الحيرة.

تناول هذا البحث الإجراءات والأعمال التي قام بها خالد بن الوليد الممهدة لفتح الحيرة بإزالة المعوقات التي تعترض سبل تقدم قواته، ثم تطرق إلى دخول القوات الإسلامية إلى الحيرة ومحاصرتها وما أعقبها من مفاوضات الصلح وشروطه، بعد ذلك أنتقل الحديث إلى ذكر أهمية فتح الحيرة ونتائجها ولاسيما المتمثلة بإقبال العديد من وجهاء سكان المناطق المحيطة بالحيرة والقريبة منها طالبين الدخول في طاعة المسلمين وعقد شروط الصلح معهم، كما أشار البحث إلى التدابير الإدارية والعسكرية التي قام بها خالد بن الوليد لتنظيم إدارة

* معهد إعداد المعلمين/ الموصل.

المقاطعات المفتوحة لضمان الحفاظ على أمنها واستقرارها ورعايته مصالح السكان وحقوقهم في ظل السيادة الإسلامية.

التمهيد لفتح الحيرة[1]:

أتجه خالد بن الوليد بقواته بعد معركة "أليس" [2] إلى تأمين سيطرة المسلمين على المناطق المجاورة والفاصلة بينه وبين الحيرة بالقضاء على الحاميات الفارسية المنبثة في العديد من المواقع والحصون حفاظاً على خطوط تقدم جيشه دون عوائق وللحيلولة دون مباغتته من الخلف، فقد قام المسلمون باقتحام حصن "النجف"[3] والسيطرة عليه وعلى العديد من الحصون القريبة، ((ولم يكن في هذه الحصون التي افتتح احصن منه ولا أكثر مقاتلة ولا سلاحاً ولا متاعاً، ولا رجال أشد من رجال كانوا في حصن النجف فأ خرب الحصن واحرقه))[4]، ثم بعث خالد طليعة من قواته إلى حصن "أليس" – الذي كانت تتركز فيه قوات من الفرس – فتمكنت من اقتحامه بعد محاصرته والاستيلاء على الأسلحة والمؤن وقتل المسلحين من الأعداء ثم هدم الحصن وحرقه[5].

---

(1) الحيرة: مدينة على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف وكانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية: ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبدالله، "معجم البلدان"، بيروت، دار الكتاب العربي/د.ت.

(2) أليس: موضع في أول أرض العراق من ناحية البادية وقعت فيه معركة بين المسلمين والفرس. البغدادي: صفي الدين عبد المؤمن ((مراصد الأطلاع على أسماء الأمكنة والتباع))، بيروت، دار المعرفة/1954. 113/1.

(3) النجف: موضع قريب من الكوفة ((كالمسناة تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها وبالقرب من هذا الموضع قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب المشهور)). البغدادي: مراصد، 1360/3.

(4) أبو يوسف: القاضي يعقوب: ((كتاب الخراج))، بيروت، دار المعرفة/1979، ص142.

(5) أبو يوسف: الخراج، ص 142 ويضيف ((كما افتتح المسلمون هرمزجرد ونهر الملك وباروسما))، ابن خياط: أبو عمر خليفة ((تاريخ خليفة بن خياط))، النجف، مطبعة الآداب/1967،86/1.

لا شك في أن سيطرة القوات الإسلامية على تلك الحصون المسلحة ثم تدميرها كانت تهدف إلى حرمان الأعداء من الاستفادة منها فضلاً عن شل قدرتهم من إعاقة تقدم المسلمين باتجاه الحيرة مع بث اليأس في قلوب المتربصين والمترددين من سكان المناطق المجاورة، وكان من نتائج تلك الخطوة: توافد وجهاء أهل تلك الأطراف إلى خالد بن الوليد طالبين عقد الصلح والدخول في ذمة المسلمين والإقرار بدفع الجزية مع إبداء الاستعداد للتعاون معهم مقابل ذلك ; ((صالح خالد أهل أليس على أن يكونوا عيوناً للمسلمين على الفرس وأدلاء وأعواناً))[1]، وكان ذلك((يوم السبت لثلاث مضين من رجب سنة أثنتي عشرة على ألف دينار)) [2]، وبذلك أصبح الطريق سالكاً نحو الحيرة، فأسرعت القوات الإسلامية بالتحرك نحوها، وأمر خالد بن الوليد بحمل المؤن والأثقال مع المشاة على ظهر السفن وهي تمخر نهر الفرات شمالاً، ولكن سيرها تعرقل حيث تفاجأت بأنحسار الماء فجنحت السفن في أماكنها، وكان السبب وراء ذلك أن "الأزابدة" – مرزبان الحيرة(الحاكم الفارسي) وقائد قواتها هناك – حينما علم ما حصل في ((أليس وأمغيشيا))[3] أدرك أن الخطر قادم إليه لا محالة لذلك إستعد لمواجهته ومحاولة عرقلة تقدمه، فخرج بجيشه من الحيرة ثم قدم ابنه على رأس طليعة من الجند أمامه، وسار هو وراءه ببقية القوات، وكان الأزابدة قد أمر ابنه بفتح ثغرات

---

(1) البلاذري: أبو الحسن ((فتوح البلدان)) بيروت، دار الكتب العلمية/ 1978،ص244، قدامة بن جعفر: الخراج، صناعة الكتابة، بغداد، دار الرشيد/1981، ص354.

(2) أبن خياط: خليفة ((تاريخه))، 86/1، الذهبي: شمس الدين: ((تاريخ الإسلام))، بيروت، دار الكتاب العربي/2003، 78/1.

(3) أمغيشيا: موضع بالعراق وقعت فيه معركة بين المسلمين – خالد بن الوليد – والفرس، تمكن المسلمون من السيطرة عليها بعد دحر الفرس وأمر خالد بهدمها وكانت مدينة كبيرة كالحيرة ((أصاب المسلمون فيها ما لم يصيبوا مثله قبله))، ياقوت الحموي: معجم البلدان، 254/1.

في ضفاف نهر الفرات لتغيير مجرى الماء بهدف إعاقة تقدم القوات الإسلامية وتأخير اندفاعها نحو الحيرة[1].

وحينما علم خالد بن الوليد بخطة الفرس – بعد جنوح السفن – أسرع على رأس قوة من الفرسان فاجأت طليعة الجيش الفارسي وهم آمنون في مقرهم وتمكن من القضاء عليهم، ثم واصل خالد زحفه على الفور بأتجاه القوات الرئيسة لابن الأزابدة قبل أن يعلم ما حل بطليعة جنده فشن هجوماً مباغتاً – كذلك – على عدوه في موقع ((فم فرات بادقلى)) [2] وبعد معركة سريعة تمكن الجيش الإسلامي أن يلحق الهزيمة بعدوه ويقتل قائده، وقد عرفت هذه الموقعة بـ "يوم المقر وفم فرات بادقلى" وأمر خالد بسد البثوق التي أحدثها الفرس لنهر الفرات فعاد الماء إلى مجراه السابق[3].

فتح الحيرة:

بعد أن تمكن الجيش الإسلامي من دحر القوات الفارسية وقتل قائدها "ابن الأزابدة" جنوبي الحيرة أسرع خالد بن الوليد – دون إبطاء – على رأس طليعة من الفرسان باتجاه المدينة – وطلب من بقية جيشه اللحاق به في نقطة حددها لهم –

---

(1) الطبري محمد بن جرير: ((تاريخ الرسل والملوك))، القاهرة، دار المعارف/1962، 359/3، أبن خلدون: عبد الرحمن: ((كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر))، بيروت، دار الكتاب العربي/1956، م2/ 891.

(2) المقر وفم الفرات بادقلى:– المقر: موضع قرب فرات بادقلى ناحية البر من جهة الحيرة، البغدادي: مراصد الاطلاع، 1298/3.
أما ((بادقلى)) فمعناها بالفارسية تفرع أو عند تفرع، أبن الأثير: عز الدين ((الكامل في التاريخ))، بيروت، دار الفكر/1978، 265/2 الهامش، يقع جنوب الكوفة: أنظر البكري: أبو عبيد: ((معجم ما أستعجم من أسماء البلاء والمواضع)) القاهرة، مطبعة لجنة التاليف والنشر والترجمة/1949، 1005/3.

(3) الطبري: تاريخه، 359/3، اليعقوبي: أحمد: ((تاريخ اليعقوبي)) النجف، المكتبة الحيدرية/1973، 120/2.

بقصد شل قدرة القوات الفارسية وعلى رأسها الأزابدة وعدم إعطائهم فرصة لالتقاط الأنفاس ومحاولة الاستعداد وحشد المزيد من القوات بوجه المسلمين، بل حسم المعركة بأسرع وقت وأقل التكاليف، فأسرع خالد بدخول الحيرة ونزل بقواته السريعة ((بين الخورنق [1] والنجف، فقدم خالد الخورنق، وقد قطع الأزابدة الفرات هارباً من غير قتال، وإنما حداه على الهرب أن الخبر وقع إليه بموت أردشير ومصاب ابنه، وكان عسكره بين ((الغريين)) [2] و ((القصر الأبيض)) [3]. ولما تتام أصحاب خالد إليه بالخورنق خرج [من موقعه ونزل] بموقع عسكر الأزابدة بين الغريين والقصر الأبيض وأهل الحيرة متحصنون))[4].

بعد أن ألحق الجيش الإسلامي الهزيمة بالقوات الفارسية في الحيرة ومحيطها أصبح في مواجهة مباشرة مع سكانها الذين لجأوا إلى القصور للاحتماء بها، ويلاحظ أن خالد بن الوليد اعتمد خطة لفتح المدينة بأقل الخسائر الممكنة بين الطرفين بعد أن حدد مكامن القوة فيها فوجدها تتركز في القصور المحيطة بالحيرة، وهي – على ما يبدو – كانت بمثابة قلاع محصنة فيها زعماؤهم وقادتهم وهي مجهزة بالرجال والمؤن، فعمل خالد على عزل هذه القصور بعضها عن بعض ومنع الاتصال بين أهلها تلافياً لتوحيد قواهم وموقفهم والانفراد بسكان كل قصر على حدىً ((فأدخل خالد الحيرة الخيل من عسكره وأمر بكل قصر رجلاً من قواده يحاصر أهلهم ويقاتلهم، فكان ضرار بن الأزور محاصراً للقصر الأبيض وفيه أياس ابن قبيصة الطائي، وكان ضرار بن الخطاب محاصراً قصر

---

(1) الخورنق: قصر من قصور الحيرة المشهورة يقع ظاهر الحيرة، أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، 401/2.

(2) الغريين: صومعتان يقعان بظاهر الكوفة بناها المنذر بن أمرؤ القيس بن ماء السماء. ياقوت الحموي: معجم البلدان، 198/4.

(3) القصر الأبيض: – قصر من قصور الحيرة: ياقوت الحموي: ((معجم البلدان)) 354/4.

(4) الطبري: تاريخه، 359/3 – 360، ابن كثير: أبو الفداء ((البداية والنهاية))، بيروت، مكتبة المعارف/1966، 347/5.

حسـن

العدوسيين[1] وفيه عدي بن عدي المقتول، وكان ضرار بن المقرن المزني – عاشر عشرة أخوة له – محاصراً قصر ابن مازن [2] وفيه ابن أكال، وكان المثنى محاصراً قصر ابن بقيلة وفيه عمرو بن عبد المسيح))[3].

وكما اعتاد المسلمون في التعامل مع خصومهم قبل القتال فقد أمر خالد قادته بدعوة زعماء القصور ومن فيها إلى اختيار واحدة من ثلاث (الإسلام أو الجزية أو القتال) قبل اللجوء إلى شن الهجوم فإن استجابوا فبها وإن أبوا تعطى لهم مهلةً للتفكير والتشاور أمدها يوم واحد – طمعاً لاستجابتهم للإسلام أو الحل السلمي – وخلال هذه المهلة أوصى خالد جيشه بالتيقظ والتكتم وعدم الغفلة خشية الغدر قائلاً لهم ((لا تمكنوا عدوكم من آذانكم فيتربصوا بكم الدوائر ولكن ناجزوهم ولا ترددوا [تردوا]المسلمين عن قتال عدوهم))[4].

كما توقع خالد بن الوليد فإن نوايا عدد من زعماء القصور لم تكن حسنة فلم يستجيبوا لدعوة المسلمين وكانوا يبغون الكيد والغدر مثل أهل القصر الأبيض الذين بدءوا بالعدوان على القوات الإسلامية المحاصرة برمي الحجارة عليهم من أعلى أسوار القصر، مما اضطر المسلمون بالرد عليهم((فقال ضرار [ابن الأزور] أرشقوهم فدنوا منهم فرشقوهم بالنبل فأعروا رؤوس الحيطان، ثم بثوا غارتهم فيما يليهم، وصبح أمير كل قوم أصحابه بمثل ذلك فأفتتحوا الدور والديرات وأكثروا القتل فنادى القسيسون والرهبان يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم))[5].

حينما أيقن زعماء وقادة الحيرة بعدم قدرتهم على مواجهة المسلمين أعلنوا – مضطرين – القبول بالشروط التي سبق طرحها عليهم واستعدادهم للتفاوض مع

---

(1) قصر العدسيين: قصر كان بالكوفة في طرف الحيرة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 360/4.

(2) قصر بني مازن: من القصور الواقعة على أطراف الحيرة، أنظر، الطبري: تاريخه، 306/3، أبن الأثير: الكامل، 266/2.

(3) الطبري: تاريخه، 360/3، أبن الأثير: الكامل، 266/2.

(4) الطبري: تاريخه، 360/3.

(5) الطبري: تاريخه، 361/3، أبن الأثير: الكامل، 266/2.

خالد بن الوليد لإبرام الصلح، وشكلوا وفداً من زعماء أهل القصور برئاسة عبد المسيح بن بقيلة – لكبر سنه – وآخرون – وقد أجرى خالد حواراً طريفاً مع الأخير فصلته العديد من المصادر [1] – وأثناء تواجد أعضاء الوفد حرص خالد بن الوليد على أن يلتقي بكل واحد منهم على انفراد أول الأمر [2] طمعاً في دخولهم الإسلام ثم خاطبهم بقوله ((أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام فإن أنتم فعلتم فلكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، وان أبيتم فإعطوا الجزية، فإن أبيتم فقد أتيتكم بقومٍ هم أحرص على الموت منكم على الحياة)) [3]، وحينما لم يلمس لديهم رغبة لدخول الإسلام عاتبهم بقوله:((ويحكم ما أنتم عرب؟ فما تنقمون من العرب! أو العجم؟ فما تنقمون من الأنصاف والعدل))[4]، ثم تناقش معهم حول أياً من الاختيارات يريدون؟ فوافقوا على دفع الجزية فأنكر عليهم ذلك موبخاً ((تباً لكم، ويحكم إن الكفر فلاة مضلة فأحمق العرب من سلكها))[5].

وهذه دلالة واضحة تظهر أهداف الفتح الإسلامي الرامي إلى جمع الناس على كلمة سواء والدعوة إلى الله والإسلام ليكونوا عبيداً لله دون سواه أخوة متساوون في الحقوق والواجبات.

وبعد الانتهاء من المفاوضات وافق خالد بن الوليد على اختيار أهل الحيرة وعقد مع وجهائهم الصلح وكتب لهم بذلك كتاباً تضمن عدة شروط تحدد ما يقع عليهم وعلى المسلمين من تعهدات والتزامات شهده جمع من قادة المسلمين وزعماء أهل الحيرة، ولأهمية ما جاء في بنود كتاب الصلح نستعرض محتوياته

---

(1) الطبري: تاريخه، 362/3 – 363، الشابشتي: أبو الحسن ((الديارات))، بيروت، دار الرائد العربي/1986، ص 239 – 240، أبن أعثم الكوفي: أبو محمد ((الفتوح))، بيروت، دار الكتب العلمية/1986/ ص 78 – 80.

(2) الطبري: تاريخه،361/3.

(3) أبو يوسف: ((الخراج))، ص 143.

(4) الطبري: تاريخه،361/3.

(5) الطبري: تاريخه، 3/ 362.

بشيء من التفصيل كونه يوضح جانباً من المستوى الحضاري والإنساني للإسلام كما يعد وثيقة هامة تكشف حقيقة موقف تعامل المسلمين مع غيرهم من الناس.

مما جاء في شروط هذا الصلح: أن خالداً وضع الجزية على الرجال فقط من القادرين على العمل والكسب، وبعد أن أحصاهم أسقط منهم ألفاً – لعجزهم وكبر سنهم – من مجموع سبعة الآلاف، فيكون عدد الرجال الذين ينطبق عليهم شروط دفع الجزية ستة الآلاف من أهل الحيرة) ومما جاء – كذلك – في كتاب الصلح على لسان خالد: ((وشرطت عليهم أن عليهم عهد الله وميثاقه الذي أخذ على أهل التوراة والإنجيل أن لا يحالفوا ولا يعينوا كافراً على مسلم من العرب ولا من العجم ولا يدلوهم على عورات المسلمين، عليهم بذلك عهد الله وميثاقه الذي أخذه أشد ما أخذه على نبي من عهد أو ميثاق أو ذمة فإن خالفوا فلا ذمة لهم ولا أمان، وإن هم حفظوا ذلك ورعوه وأدوه إلى المسلمين فلهم ما للمعاهد وعلينا المنع لهم، فإن فتح الله علينا فهم على ذمتهم لهم بذاك عهد الله وميثاقه أشد ما أخذ على نبي من عهد أو ميثاق، وعليهم مثل ذلك لا يخالفوا، فإن غلبوا فهم في سعةٍ يسعهم ما وسع أهل الذمة، ولا يحل فيما أمروا به أن يخالفوا))[1].

وتضمنت فقرة أخرى من كتاب الصلح تعهدات من قبل المسلمين جديرة بالملاحظة والتمعن لما تعكسه من سماحة الفتح الإسلامي وعدله وإنصافه ومروءته الإنسانية في تعامله مع سكان البلاد من غير المسلمين لا نجد لها مثيلاً عند غيرهم من الأمم، ففيها إقرار واضح برعاية أهل الذمة من العاجزين والفقراء – كما ورد في كتاب الصلح ((وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات، وكان غنياً فأفتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام، فإن خرجوا إلى غير دار الهجرة ودار الإسلام فليس من المسلمين النفقة على عيالهم، وأيما

(1) أبو يوسف: ((الخراج))، ص 144.

عبد من عبيدهم أسلم أقيم في أسواق المسلمين فبيع بأعلى ما يقدر عليهم في غير الوكس ولا تعجيل ودفع ثمنه إلى صاحبه))[1].

وإضافة الى ما كانت توفره الدولة الإسلامية لأهل الذمة من أمن واستقرار وحرية ممارسة طقوسهم الدينية، مع الحفاظ على حقوقهم المشروعة في الحياة فإنها كانت تحرص على حمايتهم مما يقع عليهم وعلى ممتلكاتهم من غبن أو اعتداء بشكل عادل ومنصف، كما تعهدت باحترام مشاعرهم وعاداتهم الإجتماعية وتقاليدهم طالما التزموا بمراعاة تقاليد المجتمع الإسلامي ونظامه، فضلاً عن ذلك فقد وردت عبارة صريحة في كتاب الصلح مع أهل الحيرة تعهد فيه المسلمون بأعطاء أهل الذمة حرية اختيار موظفين من بينهم لتنظيم العلاقة مع الإدارة الإسلامية، كما أبدى المسلمون– في هذا العقد– تقديم العون والمساعدة لهم عند الطلب وعلى نفقة بيت مال المسلمين[2].

أما مقدار مبلغ الجزية التي وافق عليها أهل الحيرة وتعهدوا بدفعها للمسلمين فقد تباينت المصادر في ذكر أرقامها [3] وهذه الجزية مشروطة بتعهدات المسلمين لهم بالدفاع عنهم وحماية حقوقهم – فضلاً عما ذكر – وهم غير ملزمين بدفعها عند عدم قدرة المسلمين الدفاع عنهم وحمايتهم[4].

---

(1) أبو يوسف: ((الخراج))، ص 144.

(2) أبو يوسف: ((الخراج))، ص 144.

(3) أوردت المصادر التاريخية أرقاماً متباينة لمقدار الجزية التي فرضت على أهل الحيرة، منها ((فصالحهم على ستين ألف [درهم])) أبو يوسف: الخراج، ص 145((فصالحوه على مائة ألف وتسعون ألفاً))، الطبري تاريخه، 362/3؛ وقدره أخر بـ ((أربعة وثمانين ألف درهم)) البلاذري: فتوح البلدان، ص 245؛ وذهب مؤرخ أخر إلى ((وصالحوه من القصور الثلاثة على مائة ألف درهم يؤدونها في كل عام للمسلمين)) الدينوري: أبو حنيفة: "الأخبار الطوال" القاهرة/ 1960، ص 112. والمبلغ الذي أرجحه هو أربعة وثمانون ألف وهو حاصل ضرب ستة ألآلاف رجل – من وقعت عليه دفع الجزية – مضروبة في أربعة عشر درهم على كل رأس فيكون المجموع أربعة وثمانون ألف درهم.

(4) أبو يوسف: الخراج، ص 144؛ الطبري: تاريخه، 3/ 364.

حسن

وبعد أن أنجز المسلمون فتح الحيرة عام 12هـ/633م كتب خالد بن الوليد إلى الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) يبشره بالفتح ويطلعه على تفصيلات الأحداث وما تضمن كتاب الصلح مع أهل الحيرة، فأقر الخليفة ذلك وكتب إليه ((أن احسب لهم هديتهم من الجزاء إلا أن تكون من الجزاء وخذ بقية ما عليهم فقوِ بها أصحابك))(1).

أهمية فتح الحيرة ونتائجه:

يلاحظ أن الفتح الإسلامي للحيرة كانت له أهمية خاصة عند المسلمين كونه من أبرز الأهداف الذي حددته القيادة العليا ممثلة بالخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) حين قرر دخول العراق ((كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد، إذ أمّره على حرب العراق أن يدخلها من أسفلها. وإلى عياض [بن غنم] إذ أمره على حرب العراق أن يدخلها من أعلاها، ثم يستبقا إلى الحيرة، فأيهما سبق على الحيرة فهو أمير على صاحبه، وقال: إذا اجتمعنا بالحيرة فليكن أحدكما ردءاً للمسلمين ولصاحبه بالحيرة وليقتحم الأخر على عدو الله وعدوكم من أهل فارس دارهم ومستقر عزهم المدائن))(2).

ومبعث تقدير هذه الأهمية للحيرة ينم عن فهم دقيق وحكيم كونها ركيزة أساسية للإمبراطورية الساسانية في العراق أمنت لها السيطرة على أجزاء مهمة منه وشكلت مصداً لهجمات القبائل العربية على حدودها الغربية، لذلك كان غضب كسرى شديداً لما حصل وأصدر قراراً بعزل حاكمها من قبله " أياس بن قبيصة"(3).

وقد ترتب على فتح المسلمين للحيرة عدد من النتائج منها:

1. انهيار مقاومة بقايا الحاميات الفارسية المتحصنة في عدد من المواقع على أطراف الحيرة.

---

(1) الطبري: تاريخه، 3/ 362.

(2) الطبري: تاريخه 3/ 347.

(3) ابن خلدون: تاريخه، م560/2

2. رسخت السيطرة الإسلامية على جنوب العراق ووسطه من "كاظمة "[1] و"الأبلة"[2] إلى الحيرة ولا سيما البقاع المطلة على نهر الفرات.
3. خروج الأمراء المحليين والمتنفذين من ترددهم طالبين ود المسلمين والصلح معهم بعد أن انجلى الموقف فانهارت عزائمهم.
4. نظم خالد بن الوليد – إدارياً وعسكرياً – السيطرة الإسلامية على المناطق المفتوحة، بتعيين الولاة والموظفين وتوزيع الحاميات العسكرية لتوفير الأمن وإدارة شؤون السكان.
5. أصبح المسلمون على مقربة من عاصمة كسرى "المدائن" وهمَّ خالد بن الوليد لمهاجمتها. ولتوضيح هذه النتائج نشير فيما يلي إلى عدد من التفصيلات:

إتجه خالد بن الوليد – بعد فتح الحيرة – إلى تطهير المواقع والحصون القريبة التي تتواجد فيها حاميات فارس ية، فسار بقواته باتجاه مقاطعة "بانقيا"[3] لمداهمة عدد من حصون العدو فاقتحمت أحداها هنالك وقتلت المقاتلة من الرجال وفتحت الحصن وأخذت ما فيه من الأمتعة والسلاح وأحرقت الحصن وهدمته[4]، وبعث خالد طليعة من قواته يقودها ((بشير بن سعد))... إلى بانقيا فلقيته خيل الأعاجم عليهم فرخبنداذ فرشقوا من معه بالسهام وحمل عليهم فهزمهم وقتل فرخبنداذ [5] فأسرع بصبهرى بن صلوبا – صاحب بانقيا – إلى مقابلة خالد بن الوليد ((فاعتذر من القتال وعرض الصلح وصالحه على ألف

---

(1) كاظمة: ((على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان))، ياقوت الحموي: معجم البلدان، 431/4.

(2) الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة وهي أقدم من البصرة، وكانت الأبلة فيها صالح من قبل كسرى))، ياقوت الحموي: معجم البلدان، 77/1.

(3) بانقيا: ناحية من نواحي الكوفة كانت على شاطئ الفرات، البغدادي، مراصد الإطلاع، 1/ 158.

(4) أبو يوسف: الخراج، ص 145.

(5) قدامة بن جعفر: الخراج، ص356.

درهم وطيلسان)) [1]، ثم سار خالد بقواته حتى نزل بانقيا على شط الفرات وحاصر حصناً تجمعت فيه قوات فارسية وبعد مقاومة شديدة أفتتح الحصن ثم أحرقه وهدمه، [2] وهذا مما دفع أهل القرى والمقاطعات الأخرى إلى طلب الصلح قبل قدوم القوات الإسلامية إليها وعبورها نهر الفرات ((وصالحه أهل "ماروسما"[3] وما حو لها من القرى على ما صالحه أهل الحيرة)) [4] وتقدم ((صلوبا بن نسطونا صاحب "قس ال ناطف"[5] حتى دخل على خالد عسكره فصالحه على "بانقيا وبسما"[6] وضمن له ما عليهما وعلى أراضيها من شاطئ شاطئ الفرات جميعاً)) [7] ثم تتابع دخول المتنفدين "الدهاقين" [8] في طاعة المسلمين بعد يأسهم ((كان الدهاقين يتربصون بخالد ما يصنع بأهل الحيرة فلما صالحهم واستقاموا له جاءته الدهاقين من كل ناحية فصالحوه عما يلي الحيرة من الفلا ليج))[9] وغيرها على ألف ألف [درهم] وقيل على ألفي ألف

---

(1) قدامة بن جعفر: الخراج، ص356.

(2) أبو يوسف: الخراج: ص145.

(3) ماروسما (باروسما): ((ناحيتان من سواد بغداد: يقال لهما باروسما الأعلى، وباروسما الأسفل..))، البغدادي، مراصد الإطلاع، 1153/1.

(4) أبو يوسف: الخراج، ص145.

(5) قس الناطف: موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي، البغدادي: مراصد الإطلاع، 1092/3.

(6) بسما: ناحية من نواحي الكوفة على شاطئ الفرات، أنظر: الطبري: تاريخه 367/3؛ البغدادي: مراصد الإطلاع، 158/1 [بانقيا] لم تورد معاجم البلدان ذكر ((بسما)).

(7) الطبري: تاريخه، 367/3، وقد أورد الطبري نص هذا الصلح وتفصيلاته.

(8) الدهاقين: جمعه دهاقنة، مفرده دهقان وهو ((القوي على التصرف، رئيس الإقليم عند العجم، التاجر، رئيس القرية: من له مال وعقار: الشيخ أحمد رضا: معجم متن اللغة، بيروت، دار مكتبة الحياة /1958، م2 /464.

(9) الفلاليج: فلاليج السواد: قراها، واحداها فلوجة، والفلوجة الكبرى والفلوجة الصغرى قريتان كبيرتان من سواد بغداد والكوفة قرب عين التمر. ياقوت الحموي: معجم البلدان، 275/4.

درهم سوى جباية كسرى [1] ثم بعث خالد بن الوليد عدداً من قادته ((وأمرهم بالغارة فمخروا السواد كله إلى شاطئ دجلة))[2].

وبعد أن أصبحت مناطق واسعة من سواد العراق تحت السيادة الإسلامية عين خالد بن الوليد عدداً من أصحابه لينوبوا عنه في إدارتها والإشراف على شؤونها منهم ((عبدالله بن وثيمة النصري فنزل في أعلى العمل بالفلا ليج على المزعة وقبض الجزية، وجرير بن عبدالله على بانقيا وبسما، وبشير بن الخصاصية على "النهرين" [3] فنزل "الكويفة" [4] "ببانبورا" [5]، وسويد بن مقرن المزني إلى "نستر"[6] فهؤلاء كانوا عمال الخراج زمن خالد بن الوليد)) [7]، وبذلك لم يبق لأهل لأهل فارس فيما بين الحيرة ودجلة أمر))[8].

كذلك قام خالد بن الوليد بتوزيع عدد من الحاميات الإسلامية في مناطق الثغور – وهي المناطق المتاخم ة للعدو – ولا سيما في الأقسام الجنوبية الشرقية من أرض السواد لترسيخ السيادة الإسلامية والتصدي لأي عدوان فضلاً عن توفير الأمن والاستقرار للسكان، فعين عدداً من قادة جيشه للقيام بهذه المهام وبعثهم إليها منهم: ضرار بن الأزور، وضرار بن الخطاب، والمثنى بن حارثة، وضرار بن مقرن، والقعقاع بن عمروا، وبسر بن أبي رهم، وعتيبة بن ال نهاس ((فنزلوا على

---

(1) الطبري: تاريخه، 368/3 – 369؛ ابن خلدون: تاريخه، م2 /892.

(2) ابن خلدون: تاريخه، م2 /892.

(3) النهريين: طسوج من سواد بغداد [مقاطعة]، البغدادي: مراصد الإطلاع، ص3 /1401.

(4) الكويفة: تصغير الكوفة، وهي مقاطعة تابعة للكوفة قرب بزيقيا التي تعد من توابع الكوفة، ويقال لها كويفة ابن عمر لأنه أول من نزلها، أنظر البغدادي: مراصد الإطلاع، 189/3، 194/1.

(5) بانبورا: ناحية بالحيرة من أرض العراق، ياقوت الحموي: معجم البلدان، 331/1.

(6) نستر: كلمة نبطية أسم لصقع – مقاطعة – بسواد العراق من نواحي بغداد فيه قرى ومزارع، ياقوت الحموي: معجم البلدان 284/5.

(7) الطبري: تاريخه، 369/3.

(8) ابن الأثير: الكامل، 268/2.

"السيب"[1] في عرض سلطانه، فهؤلاء أمراء ثغور خالد وأمرهم خالد بالغارة والإلحاح فمخروا ما وراء ذلك إلى شاطئ دجلة)) [2] وبذلك أراد خالد بن الوليد أن يشدد من الضغط على الفرس ومحاصرتهم من الوسط والجنوب.

بعد تلك الرتيبات الإدارية والعسكرية أخذ خالد بن الوليد يتجه بأنظاره نحو "المدائن" – عاصمة الأكاسرة – متأملاً دخول ملوكها الإسلام وينذرهم من عاقبة العناد والعداء، وبعث إليهم رسائل بذلك منها: ((بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس، أما بعد فالحمد لله الذي حل نظامكم ووهن كيدكم وفرق كلمتكم... فأدخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم ونجوزكم إلى غيركم، وإلا كان ذلك وأنتم كارهون على غلب على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة)) [3] كما وجه كتاباً أخر إلى أمراء فارس وحكامهم جاء فيه ((بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس، أما بعد فأسلموا تسلموا، وإلا فاعتقدوا مني الذمة وأدوا الجزية، وإلا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر))[4].

ومن الملاحظ أن الدعوات التي وجهها خالد بن الوليد إلى ملوك فارس وأمرائها كانت مقدمة لما عقد عليه العزم في مهاجمة المدائن (عاصمة الأكاسرة) في حالة عدم الاستجابة، وإنه كان ينتظر إشارة الموافقة من قبل الخليفة أبي بكر الصديق (ﷺ)، وقد صرح بما نوى عليه لجنده قائلاً: ((لولا ما عهد إلى الخليفة لم أتنقذ عياضاً [بن غنم] – وكان قد شجى وأشجى بدومه، وما كان دون فتح فارس شيء))[5] إلا أن طلب عياض بن غنم النجدة من خالد وعدم الحصول على تصريح من الخليفة حال دون ذلك، فضلاً عن التعليمات السابقة للخليفة بتصفية الحاميات الفارسية المنبثة في مناطق أخرى من العراق قبل مهاجمة المدائن،

---

(1) السيب: كورة من سواد الكوفة، وهما سيبان: أعلى وأسفل. البغدادي: مراصد الإطلاع، 763/2، والسيب كذلك نهر بالبصرة فيه قرى كثيرة. البغدادي: مراصد الإطلاع، 763/2.
(2) الطبري: تاريخه، 369/3؛ ابن الأثير: الكامل، 268/2.
(3) الطبري: تاريخه، 370/3؛ ابن كثير: البداية والنهاية، 5/ 348.
(4) الطبري: تاريخه، 370/3؛ أبو يوسف: الخراج، ص145؛ ابن خلدن: تاريخه، م893/2.
(5) الطبري: تاريخه، 372/3.

((وكان قد عهد إليه [خالد] ألا يقتحم عليهم (61، 62، 63) وخلفه نظام لهم، وكان بالعين [عين التمر] عسكر فارس[1] وبالأنبار"[2] والفراض[3] آخر))[4].

وبذلك أجل خالد بن الوليد مهاجمة المدائن – رغم أن الظروف كانت مواتية[5] – إلتزاماً بتوصيات الخليفة أبي بكر الصديق (ﷺ) وتعليماته له ولعياض ولعياض بن غنم قبل دخول العراق وفق خطة تقضي بالتقاء جناحي القوات الإسلامية في الحيرة، حيث تنطلق الأولى – بقيادة خالد بن الوليد من جنوب العراق، والثانية بقيادة عياض بن غنم من الشمال ليلتقيا في الحيرة بعد أن يطهرا الخط الممتد من الأبلة جنوباً إلى المصيخ [6] شمالاً من القوات الفارسية والقوى المتحالفة معها من عدد من قبائل العرب المتنصرة، وهذا ما عبرت عنه توصيات

(1) العين (عين التمر) ((بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة.. افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد سنة أثني عشرة للهجرة وكان فتحها عنوةً)). ياقوت الحموي: معجم البلدان، 176/4.

(2) الأنبار: مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ، سميت بذلك لأنه كان يجمع بها أنابير [مخازن] الحنطة والشعير والقت والتبن. ((وفتحت الأنبار في أيام أبي بكر الصديق (ﷺ) سنة أثنتي عشرة للهجرة على يد خالد بن الوليد)) ياقوت الحموي: معجم البلدان 257/1 – 258.

(3) الفراض: أقليم يقع بين الشام والعراق والجزيرة شرقي الفرات. الحميري: محمد ((الروض المعطار في خبر الأقطار))، بيروت، دار القلم/1975، ص 438.

(4) الطبري: تاريخه، 372/3.

(5) ترك موت كسرى فراغاً سياسياً فجر الصراع والخلافات بين أفراد الأسرة المالكة وبين الطامعين في الحكم من الأمراء والقادة، حاول خالد بن الوليد أن يغتنم هذه الفرصة – بما عرف عنه من ذكاء وفطنة وقدرة على اختيار الوقت المناسب والظرف المناسب حسب مستجدات الأحداث – ليشن هجوماً على المدائن ويفتحها لكنها اجلت لأنشغال الجيش الإسلامي حسب رؤية الخليفة أبي بكر وخطته، ولو تم ما هم به خالد لتغيرت مجريات الأحداث لصالح المسلمين في وقت مبكر في صراعهم ضد الفرس.

(6) المصيخ: يقال لها مصيخ بني البرشاء، وهو بين حوران والقلت وكانت به وقعة هائلة لخالد على بني تغلب. ياقوت الحموي: معجم البلدان، 144/5.

الخليفة بوضوح ((إذا إجتمعتما [خالد وعياض] وقد فضضتما مسالح الفرس وأمنتما أن يأتي المسلمون من خلفهم فليقم بالحيرة أحدكما وليقتحم الأخر على القوم، وجادلوهم عما في أيديهم، واستعينوا بالله وأتقوه، وآثروا أمر الآخرة على الدنيا يجتمعا لكم، ولا تؤثروا الدنيا فتسلبوهما، وأحذروا ما حذركم الله بترك المعاصي ومعالجة التوبة، وإياكم والإصرار وتأخير التوبة))(1).

وبذلك توقف خالد بن الوليد عن نيته بمهاجمة عاصمة الأكاسرة وأخذ يستعد لتصفية القوات والحاميات الفارسية المنبثة في عدد من المدن والمواقع شمال الحيرة كالأنبار وعين التمر والفراض وغيرها فضلاً عن تقديم العون والمساندة للقوات الإسلامية بقيادة عياض بن غنم في المصيخ، وهذا ما سنفرد له بحثاً آخر مستقبلاً بمشيئة الله وتوفيقه.

الخاتمــة

لقد أثمرت القيادة الناجحة لخالد بن الوليد وبراعة خططه من إزالة المخاطر التي تعترض سبيل تقدم قواته نحو الحيرة بالقضاء على الحاميات والحصون المسلحة للفرس في المواقع القريبة مهدت لفتح المدينة بسهولة وعقد الصلح مع سكانها.

كما أفرز الفتح الإسلامي جملة من الملاحظات الجديرة بالتمعن منها:

- المستوى الرفيع لحكمة القيادة الإسلامية العليا ممثلة بالخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) من حيث التخطيط الناجح والحسابات الدقيقة لحركة الجيش الإسلامي وتحديد أهدافه، مع المتابعة والإطلاع على ما يجري في الميدان أولاً بأول عبر الرسل والكتب المتبادلة مع قادة الجند والحرص على رفدهم بالتوصيات والتعليمات باستمرار.

---

(1) الطبري: تاريخه، 372/3.

- كشفت وقائع الأحداث جانباً أخر من عبقرية خالد بن الوليد العسكرية في إدارة الصراع مع الخصم والقدرة على إبتكار الأساليب الناجحة مع السرعة في إتخاذ القرار الصائب في أدق الظروف، كانت عاملاً مهماً في تحقيق النصر.
- أظهرت أحداث الفتح الإسلامي للحيرة حالة متقدمة من الالتزام والانضباط اللذين تحلى بهما الجيش الإسلامي قادة ومقاتلين.
- بيّن الفتح الإسلامي للحيرة – وسواها – صورة ناصعة لسماحة الإسلام وعدله، ونبل مروءة المسلمين وسمو غاياتهم، عبرت عنه وثيقة الصلح بما تضمنته من بنود تؤكد على احترام خيارات الآخرين ومعتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم، مع التعهد بصيانة حقوقهم.
- كما اتضح من هذا الفتح حرص المسلمين على تنظيم شؤون البلاد والعباد وتوفير أسباب الأمن والاستقرار للسكان وحماية مصالحهم.

وقد ترتب على هذا الفتح جملة من النتائج منها:

- سرعة انهيار القوات الفارسية وتساقط حامياتها وحصونها أمام تقدم الجيش الإسلامي.
- إقبال العديد من الأمراء المحليين والمتنفذين نيابةً عن سكان سواد العراق للدخول في طاعة المسلمين وعقد الصلح معهم.
- ترسيخ السيادة الإسلامية بعد فتح الحيرة على معظم سواد العراق من الأبلة إلى أطراف الحيرة الشمالية.
- أصبحت القوات الإسلامية قريبة من المدائن – عاصمة الأكاسرة – وكانت الظروف مهيأة لمهاجمتها، وهذا ما هم خالد بن الوليد القيام به لولا حرصه على الإلتزام بتعليمات الخليفة أبي بكر الصديق (ﷺ) واستحصال موافقته أولاً.

Islamic Liberation of Al-Hira in 12A.H./633A.D.

Dr. Salih Ramadhan Hasan*

Abstract

This research is a second part of the study which deals with the subject of Khalid Ibn Al-Walled leader and the Islamic liberation operations in Iraq 12A.H/633A.D.

This part talks specially about the details of the liberation operation of Al-Hira and surrounding areas and the plans made by Khalid which enabled his forces to capture the city in short time and with few losses.

To achieve his aim, he captured the Persian garrisons and castles and defeated their forces. This action resulted in the escape of the Persian ruler of Al-Hira with his army to avoid confronting with the Islamic forces who entered the city.

This research also sheds light on the manner by which Khalid– who had high intelligence and wisdom – implemented his plans relating to treatment should be made with the local rulers and people of Al-Hira.

The study also shows mercy and force to his defeated enemies till he had conquered the city peacefully. the reconciliation agreement included fair conditions, which could be considered as a human document for the relationship between the victor and defeater. It became as example followed by many of Sawad Al-Iraq rulers and their princes who concluded reconciliation agreement and accepted the Islamic supremacy. Khalid made many of administrative and security procedures to ensure the security and stability state in

* Teachers Preparation Institute/ Mosul.

the freed territories and to maintain the life of people and their properties and their rights.